

دور الطلقاء في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

زكية عبدربه اللحاني*

المخلص: هذا البحث هو دراسة "الدور الطلقاء في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم" ويهدف إلى إبراز دورهم ومساهماتهم في الغزوات النبوية. وقد اشتملت على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع. فأما المقدمة: ففيها بيان أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهج الدراسة. التمهيد: تكلمت فيه عن فتح مكة وموقف أهلها من ذلك. أما المبحث الأول: فقد ذكرت فيه التعريف بمصطلح الطلقاء، وعددهم والبعد التاريخي لهم أي الفترة الزمنية التي عاشوا فيها، وثناء العلماء عليهم. المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن إسلام الطلقاء أما الثالث: فتناولت فيه مشاركتهم في الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم: حنين والطائف وتبوك وكذلك السرايا أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث منها: 1- تبين من الدراسة الرد على منتقسي أقدارهم بإبراز حقيقة ظاهرة دل عليها القرآن والحديث وهي أنهم يعدون من الصحابة الكرام. 2- إيضاح موقف النبي عليه الصلاة والسلام من الطلقاء منذ الوهلة الأولى لإسلامهم بالاعتماد عليهم في غزواته.

الكلمات المفتاحية: الطلقاء، الغزوات، حنين، تبوك، النبي صلى الله عليه وسلم .. rooza750@gmail.com

The role of men being freed in the raids of the Prophet Peace Be Upon Him (PBUH)

Zakiyah Abdriabah Al-Llahyani*

Summary: this research is a study of " the role of men being freed in the raids of the Prophet (PBUH). It aims to highlight their role and participation in the raids carried out by the Prophet. This study includes an introduction, preface, three sections, conclusion, index of sources and references.

Introduction: this contains the importance of the topic, the overall plan and the methodology.

Preface: this is about the conquest of Makkah and its people's attitude towards that.

Section one: this deals with the definition of the term "men being freed", their number and the historical dimension of them i.e. the time period they lived in and the praise they received by the scholars.

Section two: this is about how the men being freed embraced Islam.

Section three: this deals with their participation in battles carried out by the Prophet (PBUH): Hunayn, Tayef and Tabuk and Al-Saraya as well.

Conclusion: this contains the main findings reached by this study, which are as follows:

- 1- Replying to those who disrespect the men being freed by highlighting a clear fact indicated by the Holy Qura'n and Hadith (Prophet Sayings) that they are considered to be honorable Companions of the Prophet.
- 2- Shedding the light on the attitude of the Prophet (PBUH) towards the freed men, since the very first moment of their conversion to Islam, by relying on them in His raids.

Keywords: men being freed, raids, Hunayn, Tabuk, Prophet Peace Be Upon Him

المقدمة

مما لا شك فيه أن لدراسة التاريخ الإسلامي قدر كبير من الأهمية، خاصة عصر النبوة حيث سجل التاريخ أنباء أعظم تلة ظهرت في دنيا الإيمان والعقيدة، فأخبرنا عن إيمانهم وثباتهم وبطولتهم وولائهم لله ورسوله. ومن هؤلاء الذين دونت المصادر أخبارهم الطلقاء الذين أسلموا عند الفتح سنة ثمان للهجرة.

فهم ما أن أسلموا حتى أظهروا من حسن البلاء في خدمة الاسلام وأهله، فكانت سيرتهم العطرة وأيامهم النضرة منارة وضياء لأجيال المسلمين، ولا عجب في ذلك فهم الذين تربوا في مدرسة النبوة وعلى تعاليم الوحي، لذلك تنزلت آيات القران الكريم والأحاديث النبوية في تبيان فضلهم ومنزلتهم. ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة فهي تهدف إلى إبراز فضلهم ومكانتهم ومشاركتهم في الغزوات النبوية بعد إسلامهم. لهذا توجهت همتي لدراسة هذا الموضوع " دور الطلقاء في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم " وقد تناولت فيه:

المقدمة: وتناولت فيه أهمية الموضوع التمهيد: وتحدثت فيه عن فتح مكة وموقف أهلها من ذلك. المبحث الأول: مفهوم مصطلح الطلقاء، وعددهم والبعد التاريخي لهم أي الفترة الزمنية التي عاشوا فيها، وثناء العلماء عليهم. المبحث الثاني: إسلام الطلقاء بعد فتح مكة أما المبحث الثالث: فهو يتناول دورهم ومشاركتهم في غزوات النبي عليه الصلاة والسلام (غزوة حنين والطائف وتبوك) وكذلك مشاركتهم في السرايا. ثم ختمت الدراسة بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها، وذيلتها بثبت المصادر والمراجع.

وقد اتبعت في الدراسة منهج البحث التاريخي العلمي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر المتعددة مثل كتب التاريخ والتراجم والحديث. . . ثم تحليلها بطريقة علمية.

التمهيد

يُعد فتح مكة من نتائج صلح الحديبية، حيث أُخلت قريش بأحد شروط الصلح، وهو من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل فيه، فدخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ، ودخلت بنو بكر في حلف قريش⁽¹⁾، فاعتدت بنو بكر على خزاعة وقدّم بعض رجال قريش المساعدة لهم سرّاً، فاستجدت خزاعة بحلفائها: المسلمين وأبلغوا رسول الله ﷺ بمظاهرة قريش لبني بكر، فكانت غزوة الفتح التي قادها النبي ﷺ في عشرة آلاف من جند الله في الثامن من شهر رمضان في السنة الثامنة للهجرة⁽²⁾. وتشير بعض الروايات إلى أنّ قريشاً بادرت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة قبل أن يبلغ المسلمين الخبر⁽³⁾. ليطلب تجديد المعاهدة ولكنه فشل.

وقد كان رسول الله ﷺ محباً لمكة وأهلها حريصاً على ألا تراق قطرة دم واحدة في البلد الحرام؛ لذلك أمر أصحابه بالتجهز للغزو ولم يعلمهم بوجهته وحرص على السرية لئلا تستعد قريش للقتال. ولما اقترب موعد الخروج صرح عليه الصلاة والسلام بأنه سائر إلى مكة وبتّ عيونه ليحول دون وصول أنباء الجيش إلى قريش، وكان يدعو ﷺ: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نباغتها في بلادها"⁽⁴⁾. وعند وصوله بالقرب من مكة خرج العباس⁽⁵⁾ عم النبي ﷺ من معسكر

(1) ابن هشام: السيرة (389/4)؛ الكلاعي: الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1389هـ/1970م، د. ط (240/2).

(2) الواقدي: المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، 1427هـ، ط1 (531)؛ ابن هشام: السيرة (397/4)؛ ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1403هـ، د. ط (539/3).

(3) ابن هشام: السيرة (55/4).

(4) ابن حبان: السيرة النبوية، صححه السيد عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1411هـ/1991م، ط2 (315/1).

(5) وكان العباس خرج من مكة مهاجراً في الوقت الذي خرج فيه الجيش النبوي من المدينة، فالتقى العباس رسول الله ﷺ يقود الجيش ببعض الطريق فصاحبه راجعاً مع الجيش إلى مكة، وقد كان إسلامه قبل فتح خيبر، وقيل غير ذلك. ابن كثير: السيرة (543/3)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب (95/3)؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ، ط3 (352/3).

المسلمين ليخبر قريشاً بالجيش الضخم ليسارعوا بالخروج إلى النبي ليطلبوا منه الأمان، فيحقق بذلك دماءهم ويؤمن لهم صلحاً شريفاً⁽⁶⁾، فتحقق ذلك ببقاءه أبي سفيان فأخذ الأمان لأهل مكة فدخل رسول الله ﷺ مكة دون قتال، وفتح البلد الأمين دون إراقة دماء، وأعطى الناس الأمان ولم يقاتلهم أو يسبي نساءهم أو يسفك دماءهم، ولكن استثنى بعضهم من هذا الأمان⁽⁷⁾ وظهر البيت من الأصنام وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾⁽⁸⁾⁽⁹⁾.

فكان كلما أهوى إلى صنم هوى إلى الأرض وسقط سقوطاً لا قيام بعده إن شاء الله، فلا عبودية إلا لله، والدين كله لله.

المبحث الأول: مفهوم مصطلح الطلقاء.

الطلاق لفظ تداولته المصادر الإسلامية كثيراً، ويقصد به أهل مكة الذين أسلموا عند فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ومعظمهم من قريش، دون أن تحدد هذه المصادر هل المقصود به من أسلم عند دخول رسول الله ﷺ مكة فاتحاً، أم يشمل من تأخر إسلامه إلى غزوة حنين، فمن المعلوم أن هناك من أهل مكة من أسلم بعد حنين بالجرعانة⁽¹⁰⁾ كسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية. وهو لفظ ورد في الأحاديث الصحيحة.

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك قوله: "لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطلقاء"⁽¹¹⁾.

وكذلك روى مسلم⁽¹²⁾ وأورد حديث آخر عن أنس بن مالك: "أن أم سليم⁽¹³⁾ اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فراها أبو طلحة... قالت: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك"⁽¹⁴⁾.

وعن ابن إسحاق: (فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)⁽¹⁵⁾. وهذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث وروى أبو عبيدة الأموال⁽¹⁶⁾: (...). فقال: ماذا تقولون؟ وما تظنون؟ قالوا: نقول خيراً ونظن خيراً؟ أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، قال:

(6) ابن هشام: السيرة (402/1)؛ باشميل: فتح مكة، دار الفكر، د. م، 1394هـ/1974م، ط2 (181).
(7) البيهقي: دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ط1 (59/5)؛ ابن حجر: المطالب العالية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة المصرية بالكويت، 1973م، ط1 (241/4 وما بعدها)؛ الطبري: السيرة النبوية، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية، 1414هـ/1994م، ط1 (271).

(8) سورة الإسراء، آية (81).
(9) البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ/1997م (1749/4)؛ مسلم: الصحيح، دار الجيل، بيروت، د. ت، د. ط (173/5).

(10) الجرعانة: لا زالت تعرف إلى اليوم وهي تقع في رأس وادي سرف حين تعلقة في الشمال الشرقي من مكة، يعتمر منها المكبون. الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، ط3 (142/2)؛ البلاذري: معجم معالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، 1402هـ/1982م، ط1 (83).

(11) البخاري: الصحيح (1576/4).
(12) مسلم: الصحيح (106/3).

(13) أم سليم بنت ملحان الأنصارية أسلمت مع السابقين إلى الإسلام، وهي أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، خطبها أبو طلحة فجعلت صداقها إسلامه فأسلم. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، د. م، 1328هـ، ط (461/4).

(14) مسلم: الصحيح (196/5).

(15) ابن هشام: السيرة (412/4).

(16) الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، 1408هـ/1988م، ط2 (307/3).

فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين⁽¹⁷⁾ وكذلك روى البيهقي⁽¹⁸⁾ والنسائي⁽¹⁹⁾.

ويتبين من هذا أنه لا يوجد لفظ: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" الذي ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أطلقه على أهل مكة يوم الفتح، ولكن حديث أم سليم السابق يؤكد لنا أن هذا اللفظ قيل أمام النبي ﷺ وسكت عنه.

ولكن الحاكم والهيثمي أوردا حديثاً عن رسول الله ﷺ يذكر فيه هذا اللفظ. فعند الحاكم قال رسول الله ﷺ: "المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والطلاق من قريش والعرفاء من تقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة".

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه⁽²⁰⁾. وكذلك روي عند الهيثمي وقال: روي بأسانيد، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح⁽²¹⁾.

ومن هذا نستدل أن لفظ الطلقاء أطلقه رسول الله ﷺ على أهل مكة. ومعنى الطلقاء: بضم الطاء وفتح اللام وبالمد: أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا، ومفرده الطليق وهو الأسير الذي أطلق سبيله⁽²²⁾، فكأنه ﷺ جعلهم أسرى مع أنه لم يأسر أحداً منهم بالفعل تنزيلاً لهم منزلة الأسرى لقدرته عليهم⁽²³⁾، فقد صانهم عن القتل والسبي للنساء والذرية واغتنام الأموال إفضالاً منه على قرابته وعشيرته⁽²⁴⁾.

ومما سبق يتبين لنا بجلاء أن أهل مكة كانوا في حكم الأسرى رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً فمنّ عليهم الرسول ﷺ بإطلاق سراحهم، ولم يمسه بأدنى سوء رغم قدرته على ذلك، بل إنّه أكرمهم وأنزلهم منزلة عالية، لذا هو مسمى يشمل كل أهل مكة مسلمهم وكافرهم ممن عفى عنهم يوم الفتح باستثناء من أهدر دمه.

والمنتبغ لكتب التراجم والتاريخ يجد أن المصادر لم تعول كثيراً على هذا اللفظ (الطلاق) من حيث حسن إسلامه، بينما نجد أن بعض الناس جعل كلمة الطلقاء سبباً في جبين أهل مكة وبني أمية خاصة وجعلوا يعيرونهم بالطلاق وأبناء الطلقاء، ولم يفهموا أن هؤلاء الطلقاء أسلموا وحسن إسلامهم، وكانت لهم مواقف خالدة في خدمة الإسلام في حياة الرسول ﷺ وحياة من جاء بعده من الخلفاء.

عدد الطلقاء رضي الله عنهم:

في الواقع لا تذكر النصوص عدد الطلقاء، فهي لم تشر إلى عدد أهل مكة عند فتح رسول الله ﷺ لها؛ ولكن تذكر عدد المشاركين منهم في غزوة حنين، فبعد فتح مكة خرج النبي ﷺ إلى هوازن لقتالهم، وكان بين الفتح وغزوة حنين تسعة عشر يوماً. وتقيد كتب الحديث والسيرة أن عدد الجيش الإسلامي الذي فتح به رسول الله ﷺ عشرة آلاف مقاتل، وقد خرج هذا الجيش إلى غزوة حنين مع من انضم إليهم من الطلقاء فأخرج البخاري ومسلم (ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومن الطلقاء)⁽²⁵⁾.

(17) أبو عبيد: الأموال، تحقيق: محمد هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة، 1395هـ/1975م، ط2 (143).

(18) البيهقي: دلائل (86/5).

(19) النسائي: السنن، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، د. ط (382/6).

(20) الحاكم: المستدرک، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، د. ط (91/4).

(21) الهيثمي: المجمع (193/6).

(22) ابن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الطناحي، دار إحياء التراث، بيروت، د. ط (136/3)؛ القسطلاني:

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م، ط1 (580/1).

(23) الزرقاني: شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، د. ط (6/3).

(24) الصنعاني: سبل السلام، تحقيق: محمد الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1379هـ، ط4 (197/2).

(25) سبق تخريجه.

فالحديث يدل على أن الجيش الخارج إلى حنين عشرة آلاف من غير الطلقاء، وقد ورد عند ابن إسحاق أن الطلقاء كانوا ألفين من أهل مكة حيث قال: (... ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً)⁽²⁶⁾ وكذلك قال غيره⁽²⁷⁾.

وأجمع أهل المغازي والسير وغيرهم أن الطلقاء كانوا ألفين انضافوا إلى الجيش الإسلامي القادم من المدينة لفتح مكة، وذهبوا جميعاً إلى غزوة حنين وكان عددهم اثني عشر ألفاً⁽²⁸⁾. ولكن هؤلاء الألفين هم من التحق بالجيش الإسلامي ناهيك عن النساء والذرية وكبار السن والمرضى الذين هم غير مؤهلين لحمل السلاح. يقول ابن الأثير: (فإن رسول الله ﷺ شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألف سوى الأتباع والنساء)⁽²⁹⁾ وعلى هذا فإن عدد الطلقاء فوق الألفين، ولكن لا تورد المصادر المعلومات الكافية عن عددهم، لذا فإن حصرهم بالعد والإحصاء أمر متعذر، وقد خصص ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى، الطبقة الرابعة لمن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك⁽³⁰⁾، وترجم لـ 334 من أعلامهم "99" فقط من الطلقاء، وقد ترجم لمن روى عن النبي ﷺ.

ومن هذا يتبين أنه لم يرد عدد الطلقاء في المصادر، ولم يصل إلينا إلا رواية عدد المشاركين منهم في غزوة حنين، ويجب القول هنا أنه لا يهمننا معرفة أو تقدير عدد الطلقاء، وإنما يعيننا معرفة دورهم الفعّال والبارز في الغزوات النبوية.

البعد التاريخي للطلاق " الفترة الزمنية التي عاشوا فيها":

لمعرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها الطلقاء نحتاج إلى أمرين، الأول: معرفة تاريخ ظهور مسمى الطلقاء، والثاني: معرفة تاريخ وفاة آخر صحابي من الطلقاء. فأما عن الأمر الأول: فقد ظهر هذا المسمى عند فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة. أما آخر صحابي من الطلقاء وفاة فهو عبد الله بن السائب⁽³¹⁾، فقد أجمعت المصادر على أنه توفي زمن عبد الله بن الزبير⁽³²⁾، وذكر ابن عبد البر أنه توفي قبل قتل ابن الزبير ببسبب⁽³³⁾، وقد كانت وفاة عبد الله بن الزبير في السنة (73هـ)⁽³⁴⁾.

أقوال العلماء في الطلقاء:

إن علماء الأمة يثبتون فضل الطلقاء ويعدونهم من الصحابة الأبطال الذين نطق القرآن الكريم بفضلهم، كما يثبتون كل ما صح في فضلهم عن رسول الله ﷺ سواء كان هذا الفضل على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، الكل يثبتونه ويعتقدونه اعتقاداً جازماً ويسلمون به، ولا يفرقون بين أحد منهم، فيحبونهم جميعاً وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، والطلاق

⁽²⁶⁾ ابن هشام: السيرة (440/4).

⁽²⁷⁾ الطبري: السيرة (279)؛ التاريخ (73/3)؛ البيهقي: الدلائل (121/5)؛ الحاكم: المستدرک (121/2)؛ الهيثمي: المجمع (186/6) وقال رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عياض ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه وبقية رجاله ثقات؛ ابن خياط: التاريخ، تحقيق: أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، مطبعة محمد الكتبي، د. ت. د. ط (88)؛ ابن عبد البر: الدرر في المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1386هـ/1996م (238)؛ ابن حبان: السيرة (346).

⁽²⁸⁾ قريبي: مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، د. ت. د. ط (116/1).

⁽²⁹⁾ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: إبراهيم البنا ومحمد عاشور، دار الشعب، د. ت. د. ط (19/1).

⁽³⁰⁾ وهي الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى منشورة بتحقيق: الدكتور/عبد العزيز السلومي في جزأين عن مكتبة الصديق بالطائف، ط1، 1416هـ/1995م، وهي من سلسلة الناقص من طبقات ابن سعد، وقد ضمت أخيراً هذه الطبقة إلى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1995م.

⁽³¹⁾ عبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي، يعرف بالفارسي أخذ عنه أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء مكة، والده السائب قيل إنه كان شريك النبي في التجارة في زمن الجاهلية، سكن مكة وتوفي بها. ابن عبد البر: الاستيعاب (381/2)؛ ابن حجر: الإصابة (309/2).

⁽³²⁾ ابن سعد: الطبقة الرابعة (353/1)؛ ابن عبد البر: الاستيعاب (380/2)؛ ابن حجر: الإصابة (314/2).

⁽³³⁾ ابن عبد البر: الاستيعاب (381/2).

⁽³⁴⁾ ابن حجر: الإصابة (309/2).

يقبلوا طائعين إلى مساندة هذه الدولة التي جعلت هدفها القضاء على الظلم والظلمات ونشر العدل في الأرض، فهذا الأذان تأكيد على سيادة الدولة الإسلامية الحاكمة بأمر الله على مكة.

وفي حقيقة الأمر لم يكن ذلك بالأمر الهين على قريش، يتبين ذلك من خلال الروايات التاريخية التي تحدثت عن موقف قريش من الرسول ﷺ ومن جيشة الفاتح عند دخول مكة، ولكن قبل التطرق إلى معرفة موقف قريش من الفتح لابد من العودة قليلاً إلى الوراء ومعرفة موقفهم من نقض صلح الحديبية الذي كان السبب في الفتح، حيث تذكر المصادر⁽⁵⁶⁾ أن قريشاً كانت تحكم العقل في تصرفاتها تجاه النبي ﷺ ومن ثم الوفاء بعهداها معه ﷺ فهي تعلم أن نقض الصلح يقود إلى دخول رسول الله ﷺ إلى مكة وبالتالي زوال دينها وأصنامها، ولهذا كانت حريصة على الاستمرار في هذه الهدنة والمحافظة عليها. ولكن هذا الموقف لم يستمر طويلاً فقد نقضت قريش معاهدة الصلح عندما أعانت بالخييل والسلاح والرجال حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين فأوقعوا بها الخسائر على ماء بأرض خزاعة يدعى الوثير⁽⁵⁷⁾⁽⁵⁸⁾، ويذكر الواقدي أن جماعة من بني بكر كلمت أشراف قريش أن يعينونهم بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة، فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً⁽⁵⁹⁾.

ويقول الواقدي أن قريشاً ندمت على ما صنعت، وعرفوا أن هذا نقض للعهد⁽⁶⁰⁾، بل يذكر أن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة جاء إلى صفوان وسهيل وعكرمة، فلاماهم فيما صنعوا، كما أنهما ذهبا إلى أبي سفيان وطلبا منه أن يصلح هذا الأمر قبل أن يأتي رسول الله ﷺ بجيشه⁽⁶¹⁾.

ومن هذا يتضح أن الخلاف ساد قريشاً بعد نقض المعاهدة، فأصبح هناك فريقان: فريق حاقد متحمس ضد الإسلام ونبيه ﷺ، وغير مدرك لأبعاد هذا العمل الذي قاموا به، وتمثل هذا الفريق في صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو.

وفريق آخر: كان رافضاً لهذا العون، ومدركاً أبعاده ونتائجه الوخيمة على مكة، ويتمثل هذا الفريق بأبي سفيان بن حرب، حيث قال: (هذا والله أمرٌ لم أشهده، ولم أغب عنه. .) ⁽⁶²⁾

وهذا المشهد وهذا الموقف نجده يتكرر مرة أخرى عندما أراد النبي ﷺ دخول مكة، فقد انقسمت قريش إلى فريقين، فريق: حَكَم المنطق والعقل ففضل الاستسلام وإلقاء السلاح، ورضي بالأمان الذي جلبه لهم أبو سفيان عن رسول الله ﷺ، فمنهم من دخل الكعبة، ومنهم من بقي في داره وفرّ بعضهم إلى جبال مكة، يترقب الوضع كيف يكون، فيروي الواقدي: (قالوا: وجاء الظهر فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن بالظهر فوق ظهر الكعبة يومئذ، وقريش فوق رؤوس الجبال، وقد فر وجوههم وتغيّبوا خوفاً أن يقتلوا)⁽⁶³⁾.

وفريق ثاني: رفض الأمان وطغى عليه حماس الجاهلية ونخوتها، والحفاظ على الثأر والكرامة المهذورة يأملون أن يصدوا هجوم المسلمين الذي يقوده النبي عليه الصلاة والسلام: (فقد كان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد دعوا إلى قتال رسول الله ﷺ وضوى إليهم ناس من قريش وناس من بني بكر وهذيل، وتلبسوا السلاح، ويقسمون بالله لا يدخلها محمد عنوة)⁽⁶⁴⁾ (أبدأ)⁽⁶⁵⁾.

⁽⁵⁶⁾ الواقدي: المغازي (498).
⁽⁵⁷⁾ الوثير: يفتح أوله وكسر ثانيه، اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة، وهو موضع معروف جنوب غربي مكة على حدود الحرم، يبعد عن مكة 16 ميلاً، وقد أطلق اليوم على حيز منه الكعكية، ويطلق على حيز آخر اسم الكعكشية. البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ط3 (1368/4)؛ البلادي: المعجم (331).
⁽⁵⁸⁾ ابن هشام: السيرة (390/4)؛ الطبري: السيرة (261).
⁽⁵⁹⁾ ابن كثير: البداية (281/4).
⁽⁶⁰⁾ الواقدي: المغازي (531-532).
⁽⁶¹⁾ الواقدي: المغازي (572).
⁽⁶²⁾ الواقدي: المغازي (532).
⁽⁶³⁾ الواقدي: المغازي (569).
⁽⁶⁴⁾ عنوة: أي قهراً وغلبة. ابن الأثير الحزري: النهاية (315/3).
⁽⁶⁵⁾ الواقدي: المغازي (555)؛ ابن كثير: البداية (300/4).

ويتبين مما سبق أن قريشاً - البعض منهم - قد استعدوا لحرب المسلمين وجمعوا جموعاً لهذا الأمر، وهو دليل أنهم لم يلتزموا بشرط التأمين، مما دفع خالد بن الوليد إلى مواجهتهم فانهزموا، فكان التأمين مرة أخرى من رسول الله ﷺ حين أعلن العفو العام عن أهل مكة⁽⁶⁶⁾. وقد نزلت الآية الكريمة: **تَوَّابٌ يُعْطِي الْوَسْطَىٰ وَيُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ** (67) فاختار الرسول ﷺ أن يعفو عنهم ويصبر على ما كان منهم ويدع عقوبتهم تفضلاً منه وإحساناً فقال: "كفوا عن القوم"⁽⁶⁸⁾. وبهذا العفو الشامل الصريح أزال عليه الصلاة والسلام الخوف العالق بنفوس القرشيين فاطمأنوا، وسكنت نفوسهم، وأكبروا هذا التصرف من رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكانت هذه المعاملة الرحيمة الحانية سبباً في إسلامهم، وصار منهم - فيما بعد - من أعز الله به الإسلام، فقد اجتمع الناس لمبايعة الرسول ﷺ على السمع والطاعة لله ورسوله، فلما فرغ من مبايعة الرجال بايع النساء، واجتمع إليه نساء قريش ليبايعنه⁽⁶⁹⁾.

وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ كان يبايع النساء بالكلام، بالآية الكريمة: **تَبِيعَ بِي** (70) وما مست يده يد امرأة أجنبية⁽⁷¹⁾.

وللحقيقة فإن أهل مكة في إسلامهم لم يكونوا على درجة واحدة، فمنهم من أسلم طائعاً رغباً، وبعضهم أسلم كرهاً في بداية الأمر، ثم اقتنع ودخل نور الإيمان والإسلام إلى قلبه وعقله، وبذلك يكون أهل مكة اعتنقوا الإسلام. يقول مسلم: (ولم يكن أحد من عصاة قريش أسلم غير مطيع كان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً)⁽⁷²⁾ وقد تعقب القاضي عياض هذه الرواية فقال: (عصاة هنا جمع العاص من أسماء الأعلام لا من الصفات أي ما أسلم ممن كان اسمه العاص مثل: العاص بن وائل السهمي، والعاص بن هشام أبو البخترى، إلا العاص بن الأسود العدوي، فغير النبي ﷺ اسمه فسماه مطيعاً، وإلا فقد أسلمت عصاة قريش وعتاتهم كلهم بحمد الله تعالى)⁽⁷³⁾. وعلى هذا يكون جميع أهل مكة أسلموا، سواء من أسلم يوم الفتح أم تأخر إسلامه إلى بعد غزوة حنين، نتيجة لهذا التعامل الحاني من رسول الله ﷺ وبهذا العفو الشامل.

المبحث الثالث: دورهم في الغزوات النبوية.

غزوة حنين:

بعد أن تم فتح مكة وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، أطلق العرب السهم الأخير في كنانتهم على الإسلام والمسلمين، حيث تحول ثقل معسكر الشرك من قريش إلى قبيلتي هوازن وثقيف اللتين سارعتا فاجتمعتا بحنين لقتال النبي ﷺ، وكانت لهوازن قوة كبيرة بعد قريش، وقد أرادت أن يكون لها الفضل والسياسة في القضاء على الإسلام، فبدأت تحشد قواها في حنين بعد نصف شهر فقط من فتح مكة لمواجهة المسلمين، فقام مالك بن عوف النصري⁽⁷⁴⁾ - سيد هوازن - فنادى بالحرب واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر وجشم كلها، وسعد بن بكر وأجمع السير إلى رسول الله ﷺ وحشد مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم، ليثبتوا ويدافعوا عن أهل والعرض⁽⁷⁵⁾.

(66) سبق تخريج الحديث.

(67) سورة النحل، آية (126).

(68) الترمذي: السنن (299/5)؛ الحاكم: المستدرک (484/2)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(69) الطبري: التاريخ (61/3).

(70) سورة الممتحنة، آية (12).

(71) البخاري: الصحيح (2637/6)؛ مسلم: الصحيح (29/6).

(72) مسلم: الصحيح (173/5).

(73) النووي: الشرح (420/4).

(74) مالك بن عوف النصري، كان شاعراً، أسلم فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل كما أعطى سائر المؤلفين. ابن عبد البر: الاستيعاب

(380/3).

(75) ابن هشام: السيرة (438/4)؛ الطبري: تاريخ (70/3)؛ البيهقي: الدلائل (123/5).

ولما علم النبي ﷺ بتجمعهم هذا عزم على المسير إليهم بعد ما وقف على مدى استعدادهم وتهيبتهم للحرب، فأعد أصحابه وحثهم على الجد والصبر، وكانوا اثني عشر ألفاً، عشرة آلاف قدم بهم لفتح مكة⁽⁷⁶⁾، وانضم إليهم ألفان من الطلقاء، وتشير الروايات أن ثمانين منهم خرجوا وهم على الكفر أمنهم رسول الله ﷺ، ولما يدخلوا في الإسلام، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو⁽⁷⁷⁾، حيث كان أمامهم مهلة أربعة أشهر منحهم إياها الله سبحانه وتعالى في أول سورة براءة ليراجعوا أنفسهم، وتوكيداً للرسول عليه الصلاة والسلام معهم وأملأ أن يدخلوا في دين الإسلام، أذن لهم الرسول ﷺ أن يشتركوا في القتال مع المسلمين في حنين، وما كان قبل ذلك يسمح أبداً لغير المسلم بأن ينضم إلى الجيش الإسلامي، ولكنه أذن لهم ليريههم أن الباب لا زال مفتوحاً أمامهم ليكسبوا شرف الاشتراك في الجهاد، وليروا أخلاق المسلمين عن كثب في أدق أحوالهم، كما يبدو أن النبي ﷺ كان يرى أنه لم يكن ليضير أمة الإسلام في شيء أن يخرجوا إلى الغزوة ما داموا قد أصبحوا داخل نطاق الدولة الإسلامية، ولا يستطيعون أن يضروها دون أن يتعرضوا للعقاب، خاصة أن غالبية أهل مكة من قريش وغيرها قد دخلوا في الإسلام وصدقوا في إسلامهم⁽⁷⁸⁾.

وكان رسول الله ﷺ أعد لكل أمر عدته، فلم يترك سبباً يمكن اتخاذه، وهو يعلم أنه سيواجه قوم عتاة أشداء، ويلزم لقتالهم من العدة ما لا يلزم لقتال غيرهم، فافترض من الطلقاء من أثريائهم مالا، ووزعه على المحتاجين من الجند الإسلامي، ثم لما نصره الله في حنين وغنم المغنم الكثيرة أعاد إلى أغنياء مكة ما استقرضه، حيث استلف ﷺ من عبد الله بن أبي ربيعة أربع مائة ألف درهم فأعطاه، فلما فتح الله عليه هوازن وغنمه أموالها ردها وقال: "إنما جزاء السلف الحمد والأداء" وقال: "بارك لك في مالك وولدك" واستقرض من صفوان بن أمية عشرين ألف درهم فأقرضه⁽⁷⁹⁾، ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم، فقسمها رسول الله ﷺ بين أصحابه من أهل الضعف. روى الواقدي: (فأخبرني رجل من كنانة كان مع رسول الله ﷺ في الفتح أنه قسم فيهم دراهم فيصيب الرجل خمسين درهماً، أو أقل أو أكثر، ومن ذلك المال بعث إلى بني جذيمة)⁽⁸⁰⁾. واستعار من يعلي بن أمية ثلاثين بغيراً وثلاثين درهماً⁽⁸¹⁾، وقيل معونة قدرها ثلاثة آلاف ربح من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب⁽⁸²⁾، واستعار النبي ﷺ مائة درع من صفوان بن أمية، وكان لا يزال على الشرك، وقد سأله صفوان: أغضباً يا محمد؟ فقال ﷺ: "بل عارية مؤداة"⁽⁸³⁾، ويروي البيهقي أن صفوان كان كثير السلاح فقال له رسول الله ﷺ "أكفنا حملها فحملها صفوان"⁽⁸⁴⁾، وأعادها إليه بعد غزوة حنين شاكرًا له صنيعه⁽⁸⁵⁾، وأعانه حكيم بن حزام بفرسين فأصيبا، فأعطاه رسول الله ﷺ العوض عنهما⁽⁸⁶⁾.

ويعلق العمري على روايات استقراض النبي ﷺ من أثرياء مكة أن ابن عبد البر ذكرها دون أسانيد، وكذلك الواقدي بأسانيد، ولكن لا مانع من استعانتهم بهم إذ ثبت أنه استعان بصفوان وهو مشرك، خاصة أن الإسلام أصبح راسخ الكيان وأن صفة المعركة الإسلامية لا يؤثر فيها قبول معونة من سواهم ما دامت لا تفرض عليهم شروطاً تخل بعقيدتهم⁽⁸⁷⁾.

(76) سبق تخريجه.

(77) ابن هشام: السيرة (440/4)؛ الطبري: السيرة (279)؛ القسطلاني: المواهب المندنية (162/1).

(78) الغضبان: التربية الجماعية في السيرة النبوية، د. ن، 1422هـ/2002م، ط2 (19/2).

(79) الواقدي: المغازي (579)؛ الحاكم: المستدرک (51/3)؛ وقال: حديث صحيح الإسناد، لم يخرجاه.

(80) الواقدي: المغازي (579).

(81) أبو داود: السنن (146/2)؛ البيهقي: الدلائل (99/5).

(82) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، أسره المسلمون يوم بدر ففدى نفسه، توفي في خلافة عمر ﷺ. ابن عبد البر:

الاستيعاب (537/3)؛ ابن حجر: الإصابة (577/3).

(83) ابن هشام: السيرة (440/4)؛ البيهقي: الدلائل (99/5).

(84) البيهقي: الدلائل (99/5).

(85) ابن ماجه: السنن (809/2).

(86) ابن سعد: الطبقة (221/1).

(87) العمري: السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، 1426هـ/2005م، ط5 (495/2).

ويظهر من روايات الاستقراض أن سادات مكة كانوا لا يزالون إلى الفتح في سعة من العيش ووفرة من المال، بل يبدو أنهم أغنى من أثرياء أهل المدينة من الأنصار. وبعد أن أقام النبي بمكة تسعة عشر يوماً⁽⁸⁸⁾، خرجوا إلى حنين فوصلوا إليها في العاشر من شوال⁽⁸⁹⁾.

وكان عدد جيش المسلمين كبيراً إذا قورن بسائر الغزوات السابقة، فقد انضم إلى الجيش الذي فتح مكة ألفان من الطلقاء؛ وهذا أول اختبار للطلاق بعد الإسلام. وقد كان لوجودهم في الجيش الإسلامي آثار سلبية - لبعضهم - فقد كانوا حديثي عهد بالإسلام ولم يتخلصوا من كل الرواسب الجاهلية المستقرة في نفوسهم؛ لذلك عندما رأى بعضهم وهم في الطريق إلى حنين شجرة تعرف بذات أنواط⁽⁹⁰⁾ يعلق عليها المشركون أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال ﷺ: "سبحان الله كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركين سنن من كان قبلكم"⁽⁹¹⁾.

ومما لا شك فيه أن في طلبهم هذا دلالة واضحة على عدم تمكن الإسلام من نفوسهم، وعدم فهمهم الصحيح لمعنى التوحيد رغم إسلامهم، فهم لم يصبحوا رسول الله عليه الصلاة والسلام الصحبة الكافية من حيث الزمن والتجارب الروحي لنضوج التربية والتزكية والتعليم والتفقه، لذا لم يعاقبهم ولم يعنفهم لمعرفة بحدثة إسلامهم، إنما وضح لهم ما في طلبهم من الشرك وحذرهم من ذلك.

وقبل الخوض في أحداث المعركة لنا وقفة هنا مع الطلقاء ومشاركتهم في الجيش الإسلامي، فبالرغم من كونهم حديثي عهد بالإسلام نجدهم يمدون الجيش الإسلامي بألفي مقاتل، فهم يشكلون سدس الجيش الإسلامي الذي كان يحاصر ثقيف ويحارب هوازن، ونحن حين نقرن الألفين اللذين انضموا إلى الجيش الإسلامي بعدد الجيش كله نجد أنه رقم لا يؤبه له، فهو يعادل سدس الجيش، لكن إذا قارنا هذا العدد بنسبة أعداد كل قبيلة ومشاركتها في جيش المسلمين لوجدنا أن الطلقاء في المرتبة الثانية بعد الأنصار، فلم يرد في المصادر أن هناك قبيلة أمدت الجيش الإسلامي بمثل هذا العدد، أما الطلقاء فقد انضم منهم بعد الفتح ضعف ما قدمته كل قبيلة على حدة، وهي لم تقدم جنوداً فحسب، بل قدمت كفاءات وقيادات وزعامات مشتركة ومُسَلِّمة سارت مع الجيش الإسلامي نحو حنين.

وبالعودة للمعركة فقد تقدم المسلمون في وادي حنين قبل انبلاج الفجر، تتقدمهم الخيالة بقيادة خالد بن الوليد وفي طليعتها بنو سليم، ثم بقية الجيش بشكل صفوف منتظمة⁽⁹²⁾، وعند دخول المسلمين في الوادي حملوا على هوازن فانكشفوا، فأكب المسلمون على ما تركوه من غنائم، وبينما هم على هذه الحال استقبلتهم هوازن وأمطرتهم بوابل من السهام التي لا تكاد تخطئ أحداً⁽⁹³⁾، فانكشفت خيالة المسلمين ثم المشاة، فكان بنوا سليم أول من انهزم من المسلمين ثم تبعهم الطلقاء، ثم بقية الجيش⁽⁹⁴⁾ حتى لم يصمد مع رسول الله ﷺ سوى فئة قليلة صمدت بصموده، منهم أبو سفيان بن الحارث⁽⁹⁵⁾، والعباس عمه، كانا يمسكان بعنان بغلته لئلا تسرع به خلال العدو⁽⁹⁶⁾. وقد تراجع قليل

(88) البخاري: الصحيح (1558/4).

(89) البيهقي: السنن (151/3)؛ ابن هشام: السيرة (437/4).

(90) أنواط: اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط. ابن الأثير الجزري: النهاية (128/5).

(91) ابن هشام: السيرة (442/4)؛ الترمذي: السنن (475/4)؛ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ابن حنبل: المسند (218/5).

(92) البخاري: الصحيح (1714/4)؛ مسلم: الصحيح (706/2).

(93) البخاري: الصحيح (1051/3)؛ مسلم: الصحيح (167/5).

(94) الواقدي: المغازي (599)؛ ابن كثير: البداية (313/4).

(95) البخاري: الصحيح (1051/3)؛ مسلم: الصحيح (166/5).

(96) مسلم: الصحيح (166/5).

من المسلمين وهم الثمانون أو المائة تراجعوا على أقدامهم ولم يولوا الدبر⁽⁹⁷⁾، بينما ابتعد معظمهم عن الميدان مدبرين، ولم يصمد معه سوى عشرة أو اثني عشر من الصحابة كانوا يحيطون به، فيهم العباس وأبو سفيان وأبو بكر وعمر وعلي⁽⁹⁸⁾.

ولكن لماذا هذا الموقف من الطلقاء؟ حتى إن أم سليم وقد شاركت في المعركة تسأل عمر بن الخطاب عندما رأت الناس ينهزمون: ما هذا؟ فقال عمر: أمر الله، وجعلت تقول: يا رسول الله، من جاوز بعيري فأقتله والله إنني رأيت اليوم ما صنع هؤلاء القوم بنا؟ تعني بنو سليم والطلاق الذين انهزموا⁽⁹⁹⁾.

إن هذا الموقف لبعض الطلقاء يؤكد ما سبق وذكرناه من أنهم لم يكونوا جميعاً على درجة واحدة، فمنهم من خرج عن قناعة، وبعضهم خرج مشركاً، والبعض الآخر خرج يتربص الدوائر برسول الله ﷺ يريد اغتياله، وبعضهم خرج راسخ العقيدة، قوي الإيمان، وأغلب هؤلاء من أهل رسول الله عليه الصلاة والسلام وعشيرته الذين لم تتح لهم الفرصة للهجرة، وهم من ثبتوا مع رسول الله ﷺ، وبعضهم مضى متفرجاً لا يشك في النصر، لعل بعض الغنائم ينالها⁽¹⁰⁰⁾.

فعندما انكشف المسلمون في بداية الأمر صدر من بعض الطلقاء ما يدل على بقاء رواسب الجاهلية كما كانت بمثابة تشفي بالمسلمين والرغبة في اندحار الحق، فقد عبر كلدة بن حنبل⁽¹⁰¹⁾ أخو صفوان بن أمية لأمه عن فرحته بإدبار المسلمين قائلاً: ألا بطل السحر اليوم؟؟ فقال له صفوان وكان مشركاً آنذاك: اسكت فض الله فاك⁽¹⁰²⁾، فوالله لأن يربني⁽¹⁰³⁾ رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن⁽¹⁰⁴⁾، وفي رواية أن رجلاً من قريش مرّ صفوان فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه، فوالله لا يجتبرونها أبداً، فقال له صفوان: تبشرنني بظهور الأعراب، وغضب صفوان لذلك⁽¹⁰⁵⁾. وتذكر الروايات أن زعماء الطلقاء كانوا يقفون خلف جيش المسلمين ينظرون لمن يكون النصر منهم؛ أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام⁽¹⁰⁶⁾. وكان صفوان يرسل غلاماً له للتعرف على أخبار القتال من المقدمة⁽¹⁰⁷⁾.

بل إن هناك من المنهزمين من مضى إلى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة، فسر بذلك قوم من أهلها وأظهروا الشماتة، وقال قائلهم: ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه⁽¹⁰⁸⁾.

وفي الحقيقة أن هذه الأمور جميعاً من أقوال زعماء مكة ما هي إلا دلالة واضحة على ضيق نفوس هؤلاء بالإسلام والرغبة في العودة إلى سيرتهم الأولى، إلى تلك الوثنية التي كانوا عليها. ولكن كما تحدثت المصادر عن الجانب السيئ لبعض الطلقاء، سجلت لنا بعض المواقف المشرفة لهم، فما هو عكرمة بن أبي جهل يرد على سهيل بن عمرو عندما سمعه يقول: لا يجتبرها محمد وأصحابه، قائلاً له: هذا ليس بقول، وإنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء إن أدبل عليه اليوم فإن له العاقبة غداً. فقال سهيل: إن عهدك بخلافه لحديث. قال: يا أبا يزيد إنا كنا والله

(97) ابن هشام: السيرة (443/4)؛ الزرقاني: الشرح (19/3).

(98) ابن هشام: السيرة (443/4).

(99) الواقدي: المغازي (603).

(100) الواقدي: المغازي (597)؛ ابن هشام: السيرة (443/4)؛ ابن كثير: البداية (330/4).

(101) كلدة بن حنبل ويقال: ابن عبد الله بن حنبل الجمحي، صحابي له حديث، وسماه ابن إسحاق جيلة بن الحنبل. ابن عبد البر: الاستيعاب (321/3)؛ ابن حجر: الإصابة (305/3).

(102) لا فض الله فاك: أي لا يسقط الله أسناتك، وتقديره: لا يكسر الله أسنانك، فحذف المضاف، يقال فضه إذا كسره. ابن الأثير الجزري: النهاية (453/3).

(103) يربني: أي يصير لي سيداً. ابن الأثير الجزري: النهاية (180/2).

(104) الهيثمي: المجمع (180/6)؛ وقال رواه البزار باختصار وفيه ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلى، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. ابن حنبل: المسند (376/3)؛ البيهقي: الدلائل (126/5).

(105) الواقدي: المغازي (598)؛ ابن كثير: البداية (330/2).

(106) البيهقي: الدلائل (45/2)؛ ابن كثير: البداية (368/4).

(107) الواقدي: المغازي (598)؛ ابن كثير: البداية (330/4).

(108) الواقدي: المغازي (597)؛ الزرقاني: الشرح (12/3).

ولم يتوقف إسهام الطلقاء في هذه الغزوة إلى هذا الحد، بل قاموا بالمفاوضة مع ثقيف، حيث تشير المصادر إلى أن أبا سفيان بن حرب تقدم لمفاوضتهم أثناء حصار الجيش الإسلامي لهم⁽¹²⁴⁾. وقد يعود اختيار الرسول ﷺ أبا سفيان لهذه المهمة لصلته الوثيقة بثقيف والسمات القيادية التي تميز بها أبو سفيان، بل إن هذه السفارة تتكرر مرة أخرى عند قدوم وفد ثقيف إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمدينة لإعلان إسلامهم طلبوا أن يؤخر هدم اللات ثلاث سنوات خوفاً من غضب قومهم، فأبى عليه الصلاة والسلام إلا أن يهدمهما؛ ولكنه أعفاهم من القيام بذلك. فأرسل أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها، وفي الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى أبو سفيان، ذلك وقال للمغيرة: ادخل أنت على قومك، فقاما بالمهمة خير قيام⁽¹²⁵⁾. ولا شك أن ثقة رسول الله ﷺ في الطلقاء وتحديداً هنا في أبي سفيان هي التي جعلته يرسله إلى الطائف للقيام بهذه المهمة الخطيرة، وهو الخبير بمعادن الرجال.

غزوة تبوك:

كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة بعد العودة من حصار الطائف بستة أشهر تقريباً⁽¹²⁶⁾.

سميت بغزوة العسرة لما أصاب المسلمين من الضيق الاقتصادي وقتها⁽¹²⁷⁾، وما كان عليه الصحابة من العسر الشديد في المال والزاد والركائب⁽¹²⁸⁾. وقد حث الرسول ﷺ على النفقة في هذه الغزوة لبعدها وكثرة المشتركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فسارع أغنياء الصحابة وقرائهم إلى تقديم الأموال⁽¹²⁹⁾، والحديث عن نفقة المسلمين في غزوة تبوك حديث عن الإيمان والطاقة والصبر والتعاون وقوة الإرادة، كما هو حديث عن الإنفاق والتضحية بالمال في سبيل الله تعالى، فقد تجلى ذلك بشكل واضح في جيش تبوك الذي فتح الأبواب أمام جيوش أبي بكر ﷺ لفتح بلاد الشام وطرد الروم، فقد جرأت العرب على الروم، وكانت الأساس الذي بنى عليه الفتح الإسلامي فيما بعد. وهنا لنا أن نسأل: ما مدى مشاركة الطلقاء في هذا الجيش؟ وهل استأذنوا النبي ﷺ في التخلف عن الغزوة؟ أم أسهموا في النفقة على الجيش وأمدوه بالجنود، خاصة إن أثرياءهم أمدوا الجيش الإسلامي بالمال والرجال في حنين وهم حينئذ حديث عهد بالإسلام، فمن باب أولى أن يمدوه الآن وقد رسخ الإسلام في نفوسهم، فزادت رغبتهم في تعويض ما فاتهم من الجهاد مع النبي ﷺ، يقول عكرمة ابن أبي جهل: أما والله يا رسول لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقته ضعفها في سبيل الله، ولا قتلاً كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبلت ضعفه في سبيل الله⁽¹³⁰⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن غزوة تبوك حدثت في شمال الجزيرة العربية، وهذه الجهة كانت طرق قوافل تجار مكة، فهم أهل معرفة بهذه النواحي مداخلها ومخارجها وتضاريسها، ورجال مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو كانوا يعرفون هذه الطرق ومسالكها أكثر مما يعرفها غيرهم، لهذا يستبعد أن لا يكون هؤلاء موجودين في جيش تبوك، ولكن للأسف لم تقدم المصادر تفصيلات عن مشاركة الطلقاء في هذه الغزوة؛ لهذا من الصعوبة بمكان تحديد عددهم أو معرفة نفقتهم في جيش العسرة، إنما الذي يمكن التوصل إليه هو إشارات متناثرة في المصادر تأتي أثناء الترجمة لعلم ما، فيذكر شخص شارك في غزوة تبوك ويمكن فهم دورهم من خلال تجميع هذه الإشارات الموجودة في المصادر، وبالتالي تكوين تصور عن مشاركتهم، فيذكر الواقدي أن النبي ﷺ بعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم للغزو ويخبرهم بوجهته، فخرج أبو واقد الليثي، وهو من

(124) ابن هشام: السيرة (483/4)؛ الطبري: التاريخ (84/3).

(125) ابن هشام: السيرة (541/4)؛ الطبري: تاريخ (99/3)؛ ابن كثير: البداية (33/5).

(126) ابن حجر: الفتح (84/8).

(127) البخاري: الصحيح (790/2)؛ مسلم: الصحيح (82/5).

(128) مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة، الرياض، 1424هـ، ط2 (190/2).

(129) البخاري: الصحيح (1714/4)؛ الترمذي: السنن (277/9)؛ الواقدي: المغازي (656).

(130) ابن سعد: الطبقة (325/1).

الطلاق في قومه. وبعث إلى بني كعب ابن عمرو بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو أيضاً من الطلقاء، وحض رسول الله ﷺ المسلمين على القتال والجهاد ورغبهم فيه وأمر بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة⁽¹³¹⁾. فيفهم من هذا النص أن النبي عليه الصلاة والسلام بعث إلى مكة يحثهم على الجهاد والصدقة، واستعان برجال من الطلقاء، كما بعث إلى القبائل الأخرى، وقد أتت الصدقة إلى النبي ﷺ من هذه القبائل وبالتأكيد الطلقاء من هؤلاء الذين بعثوا الصدقة، كما أمداوا الجيش بالرجال، حيث تذكر المصادر أن يعلى بن أمية كان ممن شهد حنين وتبوك⁽¹³²⁾ وكذلك أخوه مسلمة⁽¹³³⁾.

وكان يعلى يقول: تلك الغزوة - أي غزوة تبوك - أوثق عملي عندي⁽¹³⁴⁾، كما شهداها بديل بن ورقاء وابنه عبد الله رضي الله عنهما⁽¹³⁵⁾ ووجود مثل هذه النماذج من الطلقاء في جيش تبوك يدل على عمق الإيمان في قلوبهم وجرأتهم من خلال رغبتهم في جهاد أعتى قوة في الأرض آنذاك والمتمثلة في إمبراطورية الروم البيزنطيين، كما تشير إلى مدى الاستعداد الذي وصل إليه الطلقاء للجهاد في سبيل الله ومدى حرصهم على عدم التخلف عن أي مشهد جهادي، فلو كانوا من المتخلفين عن هذه الغزوة كما تخلف طائفة من المنافقين عنها لتحدثت المصادر عن ذلك، خاصة أنها تحدثت عن المتخلفين عنها، ولم تشر إلى الطلقاء، وهذا فيه دلالة على أنهم كانوا من المشاركين في الغزوة. أما فيما يتعلق بالنفقة في جيش العسرة فلا نجد أي إشارة إلى هذا الأمر، سوى ما ورد من حديث نفقة عثمان رضي الله عنه للجيش الذي أخرجه ابن حنبل والحاكم⁽¹³⁶⁾، فالإشارة التي نخرج بها من هذا الحديث أن الذي رواه هو عبد الرحمن بن سمرة⁽¹³⁷⁾ وهو من الطلقاء.

فلا بد والحالة هذه أن يكون عبد الرحمن وغيره من الطلقاء قد شاركوا في النفقة، ولعل السبب في عدم تحدث المصادر عن هذه النفقة أنها كانت عامة لجميع المسلمين، وليس للطلاق خاصة كما حدث في حنين.

مشاركتهم في السرايا والبعوث:

لقد أعقبت غزوة تبوك سرايا وبعوث⁽¹³⁸⁾، وبعد تتبع هذه السرايا لا نجد فيها تصريحاً بمشاركة الطلقاء فيها، وهذا ليس بالأمر المستغرب، فالمصادر عادة ما تركز على القادة أو من قدم بطولات في ساحات القتال، أما بقية الجند فإنه كثيراً ما تغفل عن ذكرهم، وهذا لا يعني بالضرورة عدم مشاركتهم في هذه السرايا، ومما يؤيد ذلك ما رواه البيهقي عن يعلى بن أمية قال: (كان النبي ﷺ يبعثني في سراياه. . .)⁽¹³⁹⁾ ففي هذه الرواية دلالة قوية على إسهام مسلمة الطلقاء في السرايا وإن كانت المصادر غفلت عن ذكر هذا الدور.

وبعد فمن خلال مشاركات الطلقاء في هذه الغزوات يتبين مدى الأثر العسكري الذي تركوه في جهاد المسلمين لبناء الدولة الإسلامية في عصر الرسالة، فلم تصرح المصادر أنهم تخلفوا عن غزوة بعد فتح مكة، ولا يوجد جزم بعدم مشاركتهم في السرايا التي حدثت بعد الفتح. وقد اتضح موقف الطلقاء في هذه الغزوات من خلال الأقوال التي قالوها، كقول عكرمة بن أبي جهل ويعلى بن أمية، ولا بد أن هنالك غيرها كثير، ولكن المصادر لم تسجل لنا ما قالوه؛ غير

(131) الواقدي: المغازي (656).

(132) ابن سعد: الطبقة (202/1).

(133) مسلمة بن أمية أسلم مع أخيه وأبيه يوم الفتح، وشارك في غزوة تبوك، روى حديثاً واحداً عن رسول الله ﷺ. ابن حجر: الإصابة (142/1).

(134) الذهبي: السير (101/3).

(135) ابن عبد البر: الاستيعاب (165/2).

(136) ابن حنبل: المسند (78/5)؛ الحاكم: المستدرک (110/3)؛ وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(137) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي، أسلم يوم الفتح، فتح سجستان وكابل سنة (42هـ) توفي بالبصرة سنة (51هـ). ابن سعد: الطبقة (176/1)؛ الذهبي: السير (571/2).

(138) ابن سعد: الطبقات (169/2)؛ ابن هشام: السيرة (590/4).

(139) البيهقي: السنن (29/9).

أن هذه الإشارات التي وردت تؤكد ثباتهم ورغبتهم في الشهادة إذ كانوا يقدمون إلى الشهادة مقبلين لا يباليون بالموت، فلم تظهر لهم فعاليات سياسية أو مناورات عسكرية كما كان يفعل المنافقون واليهود في المدينة، مما يؤكد صدق جهادهم ورغبتهم بالشهادة وسعيهم للحصول عليها في أي موطن من مواطن الجهاد، وقد ساروا على هذا النهج في عهد الخلفاء الراشدين.

الخاتمة

- انتهى البحث والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وقد توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج ولا أدعي الجدة والكمال فيها لكن أمل أن تدل على الجهد المبذول فيها، والرغبة في الحصول على الجديد، فكانت النتائج على النحو التالي:
- أوضحت الدراسة أن أول ذكر الاسم الطلقاء كان بعد فتح مكة.
 - كما بينت الدراسة حرص النبي عليه الصلاة والسلام على فتح مكة سلماً وبدون قتال حفاظاً على حرمة مكة حرم الله.
 - تبين من الدراسة الرد على منتقضي أقدار الطلقاء بإبراز حقيقة ظاهرة دل عليها الكتاب والحديث وهي أن الطلقاء يعدون من الصحابة من ذلك الجيل المميز الذي أمرت الأمة بالاقتداء بهم.
 - كذلك أوضحت الدراسة إجماع أهل العلم على أن الصحابة بما فيهم الطلقاء جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها، ولا يفرقون بينهم فالكل عدول إحساناً للظن بهم، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه ﷺ وقد نقل الإجماع معظم علماء الإسلام.
 - إيضاح موقف النبي ﷺ من الطلقاء منذ الوهلة الأولى لإسلامهم بإبراز مكانتهم والاعتماد عليهم في الغزوات.
 - لأن كان بعض الطلقاء عادى الإسلام في أول الأمر وتأخر إسلامهم إلا أنهم لما أسلموا أظهروا حسن البلاء في خدمة الإسلام والدفاع عن حياضه.
 - كما تبين من الدراسة أهمية كتب الحديث كمصدر مهم من مصادر التاريخ الإسلامي.
 - وأظهرت الدراسة أن دور الطلقاء في الغزوات النبوية كان جلياً من الوهلة الأولى لإسلامهم.
 - واتضح أيضاً كيف أن الرسول عليه الصلاة والسلام استطاع إدماج الطلقاء في المجتمع الإسلامي من أول إسلامهم بالاعتماد عليهم في تمويل جيشه في غزوة حنين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبي السعادات (ت606هـ):
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، د. ط.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: إبراهيم البنا ومحمد عاشور، دار الشعب، د. ت، د. ط.
- الألباني، محمد بن ناصر الدين (ت1418هـ):
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السني في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، 1408هـ/1988م، ط2.
- باشميل، محمد:
- فتح مكة، دار الفكر، د. م، 1394هـ/1974م، ط4
- البخاري، أبو عبد الله محمد (ت256هـ):
- الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ/1997م.
- البكري، أبو عبيد عبدالله (ت487هـ)
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ/1983م، ط3.
- البلادي، عاتق:

- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة، مكة، 1402هـ/1982م، ط1
- البيهقي، أبي بكر محمد (ت458هـ):
- دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ط1.
- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عطا، مكتبة دار الباز، مكة، 1414هـ/1994م، د. ط.
- الترمذي، أبو عيسى محمد (ت279هـ):
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ):
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد، مكتبة المعارف، الرباط، د. ت، د. ط.
- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري (ت405هـ):
- المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، د. ط.
- معرفة علوم الحديث، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1355هـ/1935م، دط.
- ابن حجر، أبي الفضل العسقلاني (ت852هـ):
- الإصاية في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، د. م، 1328هـ، ط2.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز ورقم كتبها محمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1989م، ط1.
- المطالب العالمة، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة المصرية بالكويت، 1973م، ط1
- الحلبي، علي بن برهان الدين (ت1044هـ):
- السيرة الحلبيّة، المكتبة الإسلامية، بيروت، د. ت، د. ط.
- الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (ت626هـ):
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د. ت، ط2.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت241هـ):
- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ/1983م، ط1.
- المسند، دار صادر، بيروت، د. ت، د. ط.
- ابن خياط، خليفة (ت240هـ):
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم العمري، مؤسسة الرسالة، د. ت، د. ط.
- الذهبي، شمس الدين محمد (ت748هـ):
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، ط1.
- السيرة النبوية، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ/1981م، ط1.
- رزق الله، مهدي:
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة، الرياض، 1424هـ، ط2
- الزرقاني، محمد عبد الباقي (ت1122هـ):
- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م، د. ط.
- ابن سعد، محمد بن سعد (ت230هـ):
- الطبقات الكبرى، أعد فهرسها: رياض عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند الفتح وبعده، تحقيق: عبد العزيز السلومي، مكتبة الصديق، الطائف، 1416هـ/1995م، ط1.
- الشيخ، ناصر:
- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، مكتبة الرشد، الرياض، 1421هـ/2000م، ط3.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان (ت360هـ):
- المعجم الكبير، تحقيق: محمد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ/1983م، د. ط.
- الطبري، أبي جعفر محمد (ت310هـ):
- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار سويدان، بيروت، د. ت، د. ط.
- السيرة النبوية، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية، د. م، 1414هـ/1994م، ط1
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق احمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ط1
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت463هـ):
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ط1.
- قريبي، إبراهيم:

- مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، المجلس العلمي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د. ت، د. ط.
- القسطلاني، أحمد بن محمد:
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م. ط1
- ابن كثير، أبي الفداء دمشقي (ت774هـ):
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، د. ط
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1403هـ، د. ط.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت275هـ):
- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د. ت، د. ط.
- مسلم، مسلم بن الحجاج (ت261هـ):
- الصحيح، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د. ت، د. ط.
- النسائي، أحمد بن شعيب (ت303هـ):
- سنن، تحقيق: عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م، د. ط.
- النووي، يحيى بن شرف (ت676هـ):
- شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية ومكنتاتها، د. م، د. ت، د. ط.
- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك (ت224هـ):
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1419هـ/1999م، ط1.
- الهيثمي، نور الدين علي (ت807هـ):
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، د. ط.
- الواقدي، محمد بن عمر (ت207هـ):
- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، 1427هـ/2006م، ط1.